قضايا ثقافية

علم المعرفة ومعرفة العلم

في كتابه «الايزوتيريك» علم المعرفة ومعرفة العلم «ذكر الدكتور جوزف مجدلاني الفارق بين باطن المعرفة وظاهر العلم، ودعا رجال العلم الى ضرورة معالجة الباطن قبل الظاهر وتنمية الباطن كأساس لتنمية الظاهر. بالرغم من ذلك كله نجد العلم يتجه بكل امكاناته وجبروته وسلطته ومفاهيمه نحو الظاهر لدراسته والاحاطة به من جوانبه كافة.

«تراه يدقق في الخلية عوضاً عن دراسة القوى التي تنظم وظائفها.. يُشرِّح الجسد بدلاً من ان يُشرِّح النفس البشرية وما يتأتى عنها من تصرفات وافعال وصفات وخصائص وامراض والام، الخ...

ترى العلماء يرصدون الكواكب وحركتها في الافلاك بدلاً من ان يرصدوا حركة افكارهم ومشاعرهم وعلاقة بعضها ببعض. وبالرغم من عجز العلم عن بلوغ منتهى ابحاثه او الوقوف على حقيقة الامور، خاصة التي تتعلق بالانسان والكيان الانساني، تجده متوغلاً في تلك التشعبات الخارجية البعيدة عن جوهر الحقيقة.

لسنا هنا بصدد انتقاد النهج العلمي الحالي والدفاع عن نهج الايزوتيريك العلمي ايضاً. لكن المقصود هو كشف الفارق بين الظاهر والباطن، بين ظاهر العلم وباطن المعرفة سواء على صعيد الانسان او العالم. فالعلم لا يطور نفسه بل يطور الوسائل التي بها يتعرف الى المعرفة!

دعونا اولاً ننظر في الاشياء علنا نراها على حقيقتها.

حقيقة الثمرة اين تكمن؟ ليس في شكلها فحسب، بل في طعمها ايضاً، والواقع ان بعض الاشكال الخارجية قد تتشابه، لكن الطعم يختلف، فحقيقة الثمرة تقبع في لبها، أي في باطنها!

حقيقة الشجرة اين تكمن؟ في بذرتها، أي في اصلها او باطنها او «بطنها». لان بذور الاشجار المختلفة قد تتشابه. لكن الحقيقة تكمن في الباطن، في اللامنظور. لان الحقيقة لا ترى... لكنها تحس وتدرك وتفهم. حقيقة الاحجار الكريمة اين تكمن؟ في باطنها ، في نوعية ذراتها، لا في شكلها الخارجي. فالاحجار الثمينة قد تقلد او تزيف شكلاً... لكن حقيقتها تبقى هي ذاتها في باطنها، في اصلها اي في طبيعة ذراتها، ومدى تأثير عامل الزمن وكيميائية الارض فيها.

حقيقة الانسان اين تكمن، في باطنه، في تصرفاته، في طباعه وخصائصه وميزاته، في طريقة تفكيره وردات فعله الانسانية... لا في عدد خلاياه او في شكل وجهه او لون بشرته.

بالرغم من هذا كله نجد العلم يهمل الباطن وينصب على دراسة الظاهر. وهذا ما أبعده عن الحقيقة ـ التي ما انفك يبحث عنها.

بعض التجارب اجراها فريق من علماء النفس وغيرهم درسوا فيها امكانية تحكم العقل في المادة. وقد توصلوا الى الاقتناع التام بذلك. لكنهم تلهوا باحصاء عدد المرات التي نجحوا او فشلوا فيها، وانكبوا على دراسة الحالة النفسية أثناء النجاح واثناء الفشل، أي انهم بحثوا في ظاهر الاشياء. لكن، هل حاولوا مرة دراسة ماهية هذه الطاقة التي تنطلق من العقل وتتفاعل مع المادة لتؤثر فيها؟ وبأية وسيلة يحصل ذلك؟ بدراسات الباطن هذه تتفتح طاقات الباطن عند كل انسان.

لا امتياز في الخلق. جميعنا سواسية في نظر الخالق. انما تفوق كل شخص على الاخر هو في العمل على نفسه اكثر من الاخر. وهذا جانب من علوم اصدقاء المعرفة البيضاء ـ الايزوتيريك، علوم باطن الانسان التي نقدم علم بواطن الامور. اذ هي تقدم معرفة الباطن قبل الظاهر. لان الظاهر نشأ من الباطن، وليس العكس، ولو حاول المرء احصاء الاشياء التي ينبثق ظاهرها من باطنها في الحياة، لوجد ان كل موجودات العالم وجدت على هذا النحو! وكأنما العلماء لم ينتبهوا الى هذا الواقع.